الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

SOCIETE EGYPTIENNE D'ETUDES HISTORIQUES.

المجلة التاريخية المصرية

يشرف على تحريرها

محمد شفيق غربال
رئيس الجمعية

محمد مصطفى زيادة
الأمين العام

سكرتير التحرير

أحمد محمد عيسى

المجلد الخامس — سنة ١٩٥٦

تطلب من الجمعية بأرض المعرض بالجزيرة ومن المكتبات الكبرى

الثمن ٣٥٠ مليما

محتويات العدد

البحوث :

النصوص :

نقد الكتب :

أنبـــاء :

سيرة الأستاذ جوذر
تصنيف أبى على منصور العزيزى الجوذرى

تقديم وتحقيق الدكتورين محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادى شعيرة

(دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٥٥)

المكتبة العربية ترحب بهذا النص التاريخى الخاص بالدولة الفاطمية وأيامها فى تونس ، ولأبى على الجوذرى مصنف هذا الكتاب وأمين الأستاذ جوذر ، شكر المعنيين بالمراجع الأصلية للتاريخ الفاطمى فى هذا الدور التونسى . وللدكتورين محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادى شعيرة شكر الباحثين فى مطويات هذا التاريخ ، بما قاما عليه من نشر هذا الكتاب نشراً علمياً جيداً من نسختين مخطوطتين ، مع تقديمه بمقدمة تعريفية ،وتحشيته بتعليقات توضيحية ، فضلا عن فهرس أبجدى عام يستطيع القارىء الاستعانة به عند الحاجة العابرة ، مع العلم بأن القيمة الدفينة فى هذا الكتاب لا تظهر إلا بعد قراءته كله فى إمعان .

وعنوان الكتاب لا ينمّ فى الواقع عن محتوياته النادر وجودها فى غيره ، إذ ليست هذه المحتويات سيرة رجل شهد الدولة الفاطمية منذ أيام نشأتها الأولى على يد عبيد الله المهدى إلى أيام انتقالها إلى مصر أيام المعز ، بل هى سلسلة من الرسائل التى تبادلها الخلفاء الفاطميون والأستاذ جوذر فى بعض مسائل الحكومة الداخلية والقصر والأسطول وشئون السياسة الخارجية . وتستطيع هذه المحتويات تجاوزا أن تسمى سيرة ، من حيث أن المصنف أبى على الجوذرى رتبها ترتيباً تاريخياً لتنبىء هى عن شخصية أستاذ فاطمى وأخلاقه ومكانته ، دون أن يعلق عليها أو يشرح أسباب كتابتها إلا بقدر ضئيل ، متوخياً فى ذلك فيما يبدو شيئاً من الموضوعية اللبقة اللازمة لأمين حين يدون أخبار مخدومه عن طريق الرسائل الوثائقية الخاصة التى وصلت إليها يده .

والأستاذ جوذر صقلبي الأصل من أواسط أوربا ، جاء إلى تونس عن طريق الرق الأوربي الأبيض الذى اتجر فيه يهود العصور الوسطى مع أرباب الدول الإسلامية الغنية بشمال أفريقية ومصروالشام . واتفق مجيء جوذر إلى تونس والدعوةالفاطمية فى أول أمرها ، ودولة الأغالبة فى أواخر أيامها ، على مسرح التاريخ . وسواءأكان جوذر من مماليك الأغالبة المتأخرين ، أم أنه من مشتريات عبيد الله المهدى الفاطمى . فالمعروف أن عبيد الله ترسم فيه نجابة وفطانة ، فلم يلبث أن عينه مؤدباً لابنه أبى القاسم ، ووهبه له (ص ٣٥ — ٣٦) . ولم يكن جوذر صقلبياً وحيداً بين عبيد الفاطميين ، إذ المعروف أن الفاطميين استجلبوا كثيراً من الصقالبة ، الذين ما لبثوا أن عتقوا وصاروا يملأون وظائف الدولة الفاطمية ، ومنهم جوهر الكاتب الملتصق اسمه بفتح مصر ، وسرور ، وصافى ،شفيع ، وريان ، وقيصر ، وأفلح ،وكلهم معروف بنسبته إلى أصله الصقلبى .

وظل جوذر على وظيفته المشئولة مدة طويلة تأدب فيها عليه أولياء العهد فى الدولة الفاطمية ، من أبى القاسم حتى المعز . وصار كل من أولئك خليفة ، وحفظ كل منهم لجوذر مكانته عنده ، فبقى قريباً من أخبار البلاط الفاطمى قرباً جعله قادراً على أن يقف من أهل القصور الفاطمية وحرم الخلفاء الفاطميين موقف الأستاذ المؤدب المسموع الكلمة (ص ٩ — ١٠ من المقدمة) . وتولى جوذر فضلا عن هذه الأستاذية الكبيرة عدة وظائف ديوانية كبيرة كذلك ، حتى صار مثابة الوزير الأكبر فى الدولة الفاطمية الناشئة ؛ ومن هذا وذاك تتضح قيمة الوثائق الواردة فى هذا الكتاب الصغير ، ويستطيع القارىء بين سطور هذه الوثائق أن يهتدى إلى بعض أركان السياسة الفاطمية ووسائلها . وأن يتعرف على بضع نواح مجهولة فى شخصيات الخلفاء الفاطميين الأولين (انظر مثلا خطبة الخليفة المنصور بإعلان وفاة أبيه القائم ص ٥٥ — ٦٠) .

على أن الأهمية الكبرى لهذا الكتاب تتركز فيما يستدل منه على شخصية المعز الذى تم على يديه فتح مصر (ص ٧٢ ، وما بعدها) ، ولاسيما ما ورد فى بعض الرسائل المتبادلة بين الخليفة وأستاذه من إشارات إلى أحلام بعيدة رامية

إلى التوسع الفاطمى بعد مصر إلى مكة وبغداد (ص ١١١ ، ١٣٧ ، ١٣٩) . غير أن جوذر لم يعش ليرى بعينه شيئاً من محاولات تحقيق هذه الأحـــلام الإمبراطورية ، بل إنه لم ير مصر بعد فتحها ، إذ رافق ركب الخليفة المعز نحو مصر ، وفى عزمه فيما يبدو أن يستقر بالعاصمة الفاطمية الجديدة ، أى القاهرة ، ولكنه توفى فى الطريق ببرقة سنة ٩٦٩ م (ص ١٤٣ — ١٤٨) . غير أن الذى يدعو إلى الالتفات هنا أن اسم جوذر وصل إلى القاهرة ، دون أن يصل هو إليها جسمياً حتى بعد وفاته ، بل إن اسمه لا يزال باقياً بها حتى العصر الحاضر فى حى وشارع وحارة وعطفة تحمل كلها اسم الجودرية (بالدال ، نسبة إلى جوذر بعد شىء من تمصير النطق) وهى أمكنة تموج بالتجارة القاهرية الرابحة منذ العصور الوسطى . هل معنى هذا أن الأستاذ نقل أمواله إلى القاهرة وأنه اعتزم الإقامة بها على مقربة من طلعة الخليفة المعز ، برغم ما شاع وقتذاك من تقرير الخليفة تعيينه نائباً عنه بالمغرب ؟ أم هل معناه أن أتباع جوذر انتقلوا بعد وفاته إلى القاهرة ، وصار لهم شأن فى حياتها الاقتصادية أو السياسية أو الدينية ، بحيث أصبح لهم حى وعقار وأملاك ثابتة فى جزء من أهم أجزاء القـــاهرة الفاطمية ؟ أم هل معناه أن الأستاذ خلف أسرة عاشت وغنيت فروعها بالقاهرة ؟

ومن الجديد فى هذا الكتاب إشارات إلى اشتغال بعض أولياء العهد فى الدولة الفاطمية بالتجارة الخاصة ، واشتغال جوذر وغيره بالأعمال التجارية ، بالإضافة إلى توليته وظائف الحكم بين الناس (٦٢ ، ٦٩) ، وهى إشارات توجد أمثالها فى عصور سابقة ولاحقة ، وهى فى مجموعها أصل لما كتبه ابن خلدون فى الأضرار والمفاسد التى تلحق بالمجتمع من اشتغال أرباب الدولة بالبيع والشراء والكسب التجارى (انظر مقدمة ابن خلدون — بولاق — ص ٢٣٤ — ٢٣٦) . ومن الجديد فى هذا الكتاب كذلك نهى الناس ومنعهم من إطلاق البكاء والنوح فى الوفيات (ص ٤٣ ، ١٠٠) ، واعتبار سلمان الفارسى من الأئمة الفاطميين (ص ٦٥) ، وتفاصيل بعض الطريق من المهدية إلى القاهرة (ص ١٤٣) ، وهذا فضلا عن صفيف زاخر من الألفاظ الاصطلاحية التى تستطيع أن تملأ فراغاً فى معجم المفردات اللازمة للبحوث التاريخية الحديثة ،

ومثال ذلك من الألفاظ المعتصمين ص ٤٣ ، خفيفة سفرية ص ٤٧ ، دنانير رباعية ص ٦٠ ، المرصدين ص ٧٠ ، التمريث ص ٨٩ ، السكاك ص ٩١ ، الفرانقين ص ٩٩ ، الزانات ١١٣ ، العدوات ١١٤ ، وغيرها . وللناشرين شكر ثان للعناية بشرح معظم هذه الألفاظ في قائمة التعليقات في آخر الكتاب .

محمد مصطفى زياده

جزء ب

معين التاريخ لأهل التارِ